

النَّازِمُ وَاضْعَفَ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالْغُرْقَةِ الْقَرَآنِيَّةِ

بقلم : ثلة من أساتذة كلية العلوم

(جامعة عين شمس)

توصلنا من حضرة عميد كلية العلوم بجامعة عين شمس بجملة اجوبة عن موضوع الاستفتاء لمرة من
أساتذة الكلية الأفضل نشرها شاكرين .

سليمان كافنيا لما يرشح نفسه للعمل فيه باحراز
القدر الكافي من الفته الضروري لهذا العمل ، وأسس ذلك حظ وافر من القرآن العربي الكريم . ولما كان طلب القرآن واجبا على كل مسلم ومسلمة مع تناوله منازلهم وأماlemen كما سبق وهو الامر المتوقف على اجاده اللغة العربية — كل بقدر ما يلزمها وما تصبو اليه همتها وما يدفعه اليه ايمانه — صار طلب اللغة العربية واجبا لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب اذ أنه ترتب عليه وجودا وعدما . وعليه فيخلاص من هذا الشرح الموجز ان الاسلام حينما انتشر كان مظهرا قرآناً عربياً وشريعة مراجعتها عربية وهو الامر الذي لم يختلف في موطن من مواطن الفتح الاسلامية في القرنين الاول والثاني الهجريين (السابع والثامن الميلاديين) وقد امتدت فيما بين حدود الصين شرقاً وبلاد المغرب وأسبانيا غرباً .

ويتضح من هذا القول غير المحتاج الى مزيد شرح أن علاقة السببية بين الاسلام واللغة العربية كتابة وقراءة ومخاطبة وتلائما في علوم القرآن والمعظة والحديث والادب والاجتماع قام به شموس هدى ورشاد وان كانوا اعاجم ارومة وموطنوا لكنهم نهلوا من مورد القرآن الكريم فاستغروا وسعدوا وأسمدوا والله تعالى يؤتي الحكمة من يشاء من عباده ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً .

١ - علاقة السببية بين الاسلام واللغة العربية

من المعلوم أن الاسلام عقيدة وشريعة بيانها الاول في القرآن الكريم العربي المبين ويترعرع عن ذلك أنه يجب على المسلم ، بقدر استعداده العقلي والادبي وتهيؤ الفرض له ، أن يعرف القدر الضروري لكل مسلم من اركان وشروط صحة العبادات اطاعة الله تعالى ، وصحة المعاملات انساناً وتعاوناً مع عباده . وبعض هذه العبادات مثل الصلاة ، التي هي عماد الدين ، يتعمد فيها قراءة ما يتيسر من القرآن العربي مع التسبيح والتکبير والتشهد بالفاظ عربية بقدر الامكان . ولاشك أن المستشرقين من المسلمين لا يكتفون بهذا القدر الضروري بل تسمو بهم نفوسهم الى طلب علم أكثر زيادة في التقرب الى الله تعالى وكسباً لمنزلة الصالحين من عباد الله دنيا وديننا ونحو هؤلاء وأولئك درجات ارفع وأمكن من يطمعون في مراكز الامامة والتدريس والقيادة والحكم بما يرضي الله ورسوله وعملاً يقول الله تعالى لرسوله الاكرم ولامته المهدية الى سبل الرشاد « وقل رب زدني علما » نيدعوهم هذا الطبع المشروع لكل مسلم ، بصرف النظر عن جنسيته أو منزلته المادية بين قومه بل عن موقفه العدائي السابق ضد الاسلام والمسلمين الى الاسترادة من علوم الدين لكن بشرط أن يعد كل منهم نفسه اعداداً

وأمة وسطا اي متوسطة في المكان والصفات والمزايا بين الامم وما ذلك الا لأن خاتم النبئين صلى الله عليه وسلم وأمته يؤمنون بسائر الكتب المنزلة والرسل اذ يقول الله تعالى في حكم كتابه الكريم : « آمن الرسول بما أنزل الله من ربه والمؤمنون ، كل من بالله وبملائكته وكتبه وربيله لا تفرق بين احد من رسله » (البقرة 185) بخلاف اهل الكتب السابقة اليهود والنصارى يقول كل منهما لآخر لستم على شيء من الهدى وحسن المال وفي هذا يقول الله تعالى « قالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب » (البقرة 113) . وما زادوا بعد رسالة خاتم الرسل عليه الصلاة والسلام الا تفرقنا اذ يقول سبحانه وتعالى « وما تفرق الذين آتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة ، وما امرنا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين التيبة » (البينة 4) .

ويتبين من هذا كله انه لو كان القرآن بغير لغة العرب ، لما استطاع الرسول العربي ان يؤديه ولما استطاعت الامة العربية ان تتقبله وفيه يقول القرآن الكريم : « ولو نزلناه على بعض الاعجمين فقراء عليهم ما كانوا مؤمنين » (النحل 103) .

3 - المعي الإسلامي واللهجة العربية

هذه ظاهرة مدركة بالعقل وملوحة بالحواس ، ولا ادل على ذلك من انصراف غالبية المسلمين في هذا الزمان مع تعنتهم بلا ريب بدرجات متفاوتة من الابيان عن الاتصالات والتذرع في مجالسهم للقرآن الكريم وما ذاك الا لعجز معظمهم عن فهم ما يتلى عليهم من آيات وجود الله وقدرته وسرد قصص السابقين بما حوت من دروس وعبر وتعداد الكثير من نعم الله التي لا تعد ولا تحصى وبيان احكام العبادات والمعاملات التي هم في شوق وحاجة ظاهرة اليها – بدليل الاتصال على المحاضرات والمواعظ المشتملة عليها ، اما من القرآن الكريم مباشرة – مع اسلوبه السهل المعجز البليغ المترقب قد انحطت قدرتهم على تفهمه ولو جملة اول وصلة واصبحوا لا يعنون الا بهتانات الاستحسان لمشاهير القرآن ، او بنكر الله والصلاه على رسوله الكريم كلما ادركوا شيئا تفتح له قلوبهم طريا او وجلا . وما ذلك الا من طول ما اوجد المستعمرون بينهم وبين تعلم القرآن الكريم على وجوه كاملة محجحة خشبة ان يؤدي بهم مثل هذا التعلم بلا شك الى الجهاد في

وعلى خلاف ذلك لما نزح الاسلام عن الاندلس ، لم يبق من اللغة العربية الا ما حوطه بطور دور الكتب او تحطت به اطلال القصور والمساجد ، او ما باقى في اللغة الاسبانية من الفاظ عربية محرفة .

2 - ماذا لو لم تكون اللغة العربية هي لغة القرآن؟ هذه النقطة مجرد افتراض ، وجواب الافتراض بالطبع افتراض مثله ؟

والحق والله تعالى اعلم ان لغة القرآن لم تكون هي العربية الا لزوما وتبعدا لكون الرسالة اراد الله توجيهها المباشر – وان كانت للناس كافة – الى امة الجزيرة العربية بلسان رسوله الصادق الامين محمد العربي القرشي عليه وعلى آله افضل الصلاة والتسليم اما لماذا كانت الرسالة الخاتمة موجهة اولا الى هؤلاء العرب فذلك لأن الجزيرة مع غلبة الشرك في اصحابها وائلية اهل الكتاب فيها – كان سكانها من بدؤ ومن حضر أقرب للنطرة والاسلام دين النظرية ، اما الاقاليم المريقة في الحضارة فقد كانت كلها وائلة اما تحت سيطرة الروم الذين عرفوا بالترفع عن الاجناس والطفانيان عليهم من بدء تكوين دولتهم حتى انهم لم يمتنعوا المسيحية الا بعد ثلاثة قرون من ميلاد المسيح عليه السلام وبعد ان اشبعوا المسيحيين وغيرهم من الوان العذاب حرقا وتنقلا ، ولم ينفعهم اعتناقهم المسيحية ، التي شعارها المحبة والسلام للجميع من داء الغلطة والطفانيان فضلا عما ران في عقلتهم من بقية الشرك الاغرقي القديم وتعدد الالهة عندهم فالله للحرب والله للخمر والله للجمال والله للشعر الخ ، واما وقعت بقيتهم تحت سيطرة الفرس التي طفت حتى لكانها قبست من النجوم التي عبدها والنار التي قدستها صواعق تعذيب وتدمير وأسواط تحكم واستعباد من قديم الزمن حتى اضطروا لنباء الله ورسله توحا وابراهيم ولوطا ويونس واسماعيل واسحاق ويعقوب الى الهجرة من بلادهم سعيا وراء سلامتهم وسلامة رسالات الله الملقاة على عواتقهم صلوات الله عليهم اجمعين وسلماته لهذا كله اقتضت حكمة مولانا الكريم – وهو اعلم حيث يجعل رسالته ان تكون الرسالة الخاتمة – يزغ كوكب هداها في سماء الجزيرة العربية ولزم عن ذلك ان تكون الرسالة باللغة العربية وبهدایة الرسول العربي عليه افضل الصلاة والسلام . وفي هذا يقول الله تعالى « وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » (البقرة 143) .

6 — المكانة التي يجب ان تحتلها العربية بالنسبة للغات الاجنبية

لاشك انه يجب ان يكون لغة العربية **السيادة والاولوية** في دراسة العلوم والأداب كلها على السواء، مع التمهيد الشروري لتمكن المتقون والمتخصصين وحدهم من بعض الدراسات العليا باللغات الاجنبية المتعددة ليكونوا وسطاء في تبادل الانفكار والعلوم والمخترعات مع دول العالم المختلفة اللغات اما الكانة نحبهم من ذلك ما يساعدهم على التناهيم اذا اقتضى التعامل بذلك ومن حسن حظ المسلمين ان فريضة الحج تجمعهم من ارجاء المعمورة مع اختلاف المستويات والوانهم فتعطيمهم الفرصة — اذا حاولوها — لتبادل اللغات ايضا والله الموفق والهادي لاقوم سبيل والحمد لله رب العالمين .

سبيل الله لتخليص اوطانهم واعلاء كلمة دينهم ونشر آدابهم وأحكامهم الكفيلة بسعادتهم ديناً ودنياً .

اما وقد تحررت معظم البلاد الإسلامية فقد تفتحت ابواب العلم الى رياض من الصلاح والفلاح والحمد لله .

اما عن قوة اللغة العربية او ضعفها تاثراً بالوعي الإسلامي فالجواب عليه متداخل مع الاجابة على السؤال الأول من الاستثناء .

4 و 5 — ما هو مدى تأثير الفكر الديني في اللهجات ؟

لما كانت الاجابة المفيضة عن هاتين النقطتين لا يمكن صدورها الا من علماء متخصصين بمقارنة اللهجات واقتضاء اصولها وأسبابها فناسب لان تخصص هيئة التدريس في كلية العلوم الحديثة لا يتبع لهم الفرنس لخدمة هذا الغرض النبيل .

